الباب السابع
الفقر وعدم المساواة والرفاهية

• مشكلة الفقر

• ومن خلال هذا الكتاب تم الاستعراض العام للفقر كمشكلة، وما رآه الأكاديميين والسياسيين تجاه الفقر بواسطة بحوثهم التى أجروها على تلك المشكلة.

• ولهذا فإن تشخيص وقياس الفقر قد أدى إلى إيجاد قاعدة أساسية لسياسة مكافحة الفقر، وأن الاعتراضات القائمة على التعريف والتحديد وقياس المشكلة قد تم استعراضها، وأن التغلب على تلك الاعتراضات تم التنسيق فيما بينها وبين السياسات اللازمة والجهود المبذولة لمتابعة الحلول المطلوبة لمكافحة الفقر، والتخفيف من غائلة الحرمان والعوز والفاقة، مما أثر بدون شك على صانعى القرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى بريطانيا.

• إن سياسات مكافحة الفقر قد تركزت بدرجة كبيرة على الفقراء، وعلى البحث عن تزويدهم بالمساعدات اللازمة، أو إعادة تزويد مصادر الثروة لهؤلاء الذين يسمون بالفقراء.

• وإن تلك الأسباب قد انعكست بكل ثقلها على تكوين وتشكيل الهيكل الاجتماعى والاقتصادى والسياسى.

• وتفاقمت أعراض مشكلة الفقر ومكافحته بين الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة بين الرأسماليين، والماركسيين، والليبراليين، فكل منهم يسوق حجته وأسانيده وإثباتاته ونظرياته وتطبيق تلك الأطروحات، كمحاولة منهم للتحدى للديناميكيات الهيكلية للفقر، والذى يتطلب بذل مزيد من الانتباه لتحجيم حالات عدم المساواة، وتطوير وتنمية وتحقيق «استراتيجية المساواة» بين الأفراد، بل وفرضها على أرض الواقع على كافة المستويات.

• وتشكيل قاعدة أساسية لمعظم الآفاق المهمة للسياسة الاجتماعية والسياسية للتنمية التى تقوم بها الحكومة الإنجليزية حالياً فى بريطانيا، وفى أى مكان يمكن تطبيق ذلك به.

• استراتيجية المساواة وعدم المساواة

• إن التفكير فى تحقيق المساواة الكلية بين أفراد المجتمع وامتداد هذا الاتجاه على كافة المستويات التى تشمل المجتمع بأسره.

• هذا الأمل يعتبر كحلم كبير، ليس فقط فى القضاء على الفقر، أو تحقيق مبدأ الكفاية الأكبر للمجتمع بأكمله من خلال تحقيق التكامل والتحكم فى المشكلات لكافة جهود تنمية المجتمع.

openkanal.com

● وباختصار شديد فى كلمات بسيطة هو تحقيق حلم (المدينة الفاضلة) كمدينة ومجتمع رخاء ورفاهية.

● وإن تلك الأشكال من التطبيقات تحمل المجتمع كثيراً من الالتزامات المالية للمعونة الحكومية، التى تحقق خدمات الرفاهية والرخاء.

● ولكن بحساب تلك التكلفة التى يمكن استعمالها لمكافحة الفقر والتزاماتها ستختزل جزءاً تختلف نسبته فى تحقيق استراتيجية التنمية الشاملة للمجتمع على حساب تحقيق استراتيجية تنمية الأفراد والطبقات الفقيرة، فإن ذلك يمثل موقفاً ومعادلة صعبة عند دراسة التحديات والتغيرات والأحوال السياسية والاقتصادية، وتبنى الاستراتيجية اللازمة لمكافحة الفقر وتوابعه.

● والسؤال الذى يطرح نفسه الآن بوضوح كامل هو هل نعمل لتحقيق «استراتيجية المساواة» على أساس توفير الظروف الملائمة للرخاء والرفاهية، مع التأثيرات التى ستبدو واضحة فى تقليل معدلات التنمية فى المجتمع بأسره، أم نعمل على تقليل الفجوة بين «استراتيجية عدم المساواة» و«استراتيجية المساواة»، مع الحفاظ النسبى على اتباع سياسة متوازنة تحافظ على المستوى السياسى والاجتماعى والاقتصادى للمجتمع فى بريطانيا.

● والإجابة هنا هى التى تحدد الهدف الرئيسى من اتباع منهاج التنمية المطلوبة فى المجتمع بكافة طبقاته.

● رفاهية الدولة، ورفاهية الرأسمالية

● عندما نعترف ذات مرة بأن هناك قوى اجتماعية واقتصادية، يقع فى نطاقها اختيارات الأفراد أو مسئولياتهم، والتى يجب أن تحوز الأهمية بصفة عامة، وليست خادعة لهم.

● ثم عند النظر لما يجب أن تكون عليه الحلول المناسبة للفقر، والسياسات اللازمة لمكافحة الفقر، والتى تضع فى حسبانها البحث عن الانسيال اللازم للقوى العاملة.

● فكل من استراتيجية المساواة، وإستراتيجية عدم المساواة تعد كمحاولات جادة لهندسة أى تغييرات فى المجتمع، ولكن الفشل إذا ما تحقق فى هذين المجالين، فسوف يشد من أزر العلاقة بين القوى الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع الصناعى المتراكب.

● ومن ثم وبطريقة عملية.. فكل من هذين الاتجاهين سوف لايحققان مطلقاً المستهدف الحقيقى الذى يرنو كل من أتباع الاتجاهين إلى تحقيقه منهما.

obeikandl.com

● وهذا الأمر يجذبنا إلى التساؤل عن التناقض القائم بين ما نأمل إلى تحقيقه من رفاهية الدولة والاهتمام بالطبقات الدنيا والمتوسطة والفقيرة لرفع مستواهم الاقتصادى والاجتماعى، وتحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية والاقتصادية بحيث تلعب تلك التوجهات دورها فى تحقيق الرفاهية لكافة أفراد المجتمع، وبالتالى تحقيق مبدأ رفاهية الدولة.

● أم أن مبدأ رفاهية الرأسمالية الإنجليزية يمكن أن تقودنا ـ على هذا المنوال ـ إلى اتباع المساواة بطريقة نسبية، ليست أكثر من مجرد تنشيط اتجاه عدم المساواة، كنتاج أكثر تعقيداً وتناقضاً بين القوى الاجتماعية والاقتصادية لفئات المجتمع الإنجليزى بصفة خاصة والمجتمع العالمى بصفة عامة؛ مما يعكس أثره على الاتجاه المضاد للفقر والحرمان الاجتماعى، والذى يجب معالجتهما، والتأثير السلبى على السياسة القائمة التى يجب تبنيها لمكافحة الفقر، بحيث تظهر أعراض الرخاء والرفاهية فى المجتمع الإنجليزى بطريقة غير حقيقية، مع وجود الأعراض والمساوئ الضارة لعدم المساواة والحرمان.

● وأكثر من ذلك إيجاد حالة من العوز والفاقة والضياع لبعض فئات المجتمع الإنجليزى؛ بحيث يتحقق مبدأ يتبنى «المدخل للسببية فى توفير الرخاء والرفاهية والخدمات».

● وهو أمر مجاف للحقيقة يمكن أن يفرض يوماً ما بالقوة سلطة مواجهة حل مشكلة الفقر، وإمداد الفقراء بالخدمات والمنافع المادية والعينية، وفرض إعادة توزيع الدخل، وتوزيع الثروة، والتحكم فى العمل وسوق العمالة سواء بطريقة إجبارية أو اختيارية.

● مما يتطلب معايير دقيقة للدور الرئيسى لوسائل الاختيار، ومتطلبات الاختيار، والحاجات الملحة للموارد المتاحة، والفلسفة الحقيقية لبناء المجتمع، وتقييم حركته ونشاطه الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والأخلاقى، بحيث يمكن ضمان الاستقرار الداخلى والحقيقى الثابت والراسخ والأكيد لكيان المجتمع الإنجليزى، عملاً حقيقياً، وليست شعارات مرفوعة ومرفوضة من كافة فئات المجتمع الإنجليزى الحديث فى هذه الأيام.

● وبالطبع.. فإن التكامل والتضافر بين السياسات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الإنجليزى مع دول الاتحاد الأوروبى حالياً وبريطانيا عضواً فيه ـ يجعل

الآفاق المستقبلية للتكامل فى تلك الأنشطة هو ما يجب أن يكون لإزالة الفقر وتقليص حجم الحرمان والعوز الاجتماعى بدرجة مرئية يشعر بها الفقراء أنفسهم.

- وفى النهاية يجب أن نعترف ونقر بأن كل المداخل والطرق التى تبحث عن تعريف الطبقة الدنيا للأفراد الفقراء هى التى لها من القدرة والرغبة، أو عدم الرغبة فى تقليل الهوة والفجوة بين مايسمون بالفقراء والأغنياء.
- وكذلك التركيز الدقيق والبحث الجاد عن تنفيذ سياسات مكافحة الفقر من داخله، دونما إهمال أو تجاهل للهيكل العريض والمتسع لبعض الأفراد أو تركهم كفقراء إلى ما لا نهاية.
- ولهذا فإننا قد ركزنا بعمق على الهيكل الاجتماعى، والذى يؤثر بكل تأكيد على كينونة المجتمع بأسره.
- فقط يظل هناك تحد قائم لتلك القوى الاجتماعية، سوف يكون قادراً على تغيير مركز هؤلاء الفقراء فيما بينهم.
- فهم كما قال «تاونى» (Tawney) فى مقدمة هذا الكتاب الرائع فى كلمته الشهيرة التى استقرت فى الأذهان، بأن السؤال يظل يطرح نفسه «هل هى مشكلة الفقر والفقراء، أم هى مشكلة الأغنياء أيضاً».
- وهذا هو السؤال الذى بدأنا به هذا الكتاب الشيق، والعرض المتواضع له.
- فيا أيها القارئ العزيز، هل وجدت الإجابة عنه، نأمل ذلك وشكراً لك.

والله الموفق...